

المبحث الثالث: أهداف مدارس أهل الحديث في جنوب الهند

الغاية التي خلق الله لها الخلق هي أن يعبدوه وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) فهو سبحانه تعالى خلقهم لعبادته وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

ولا يخفى أن تحديد الأهداف التعليمية بدقة ووضوح هو نقطة انطلاق نجاح العملية التعليمية، لأنه يساهم في تحديد المنهج، والمحتوى العلمي على الوجه الصحيح، واختيار الوسائل المناسبة، والأنشطة العلمية، واستثمار الوقت والجهود.

أما أهداف مدارس أهل الحديث في جنوب الهند فإنها ليست موحدة، بسبب أن نظام التعليم في المدارس الأهلية غير مركزي، وسيأتي - إنشاء الله - ذكر أهداف بعض المدارس في الفصل الثاني، أما هنا - في هذا المبحث - فنحاول أن نحدد أهم الأهداف المطلوبة لمدارس أهل الحديث في جنوب الهند عامة. وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، وغرسها في نفوس المسلمين.

وهذا الهدف الذي رسمته مدارس أهل الحديث في جنوب الهند هو الهدف الكبير من الدعوة إلى الله تعالى، ووظائف الأنبياء والمرسلين العظمى، قال تعالى مخبراً عما أرسل به جميع الرسل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٢)، وقال في موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ ادْعُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٣)، وأن النجاة في الدنيا والآخرة متوقفة على صحة

(١) سورة الذاريات: ٥٦

(٢) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٣) سورة النحل: ٣٦.

العقيدة، مما يبرز أهمية تعلمها واعتقادها على المنهج الصحيح قال -صلى الله عليه وسلم-: ((فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))^(١).

يقول ابن أبي العز رحمه الله: "اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله... فالتوحيد أول ما يدخل في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا"^(٢).

ومدارس أهل الحديث في جنوب الهند تسعى لغرس هذه العقيدة الصحيحة في نفوس الطلاب، ويتضح ذلك من خلال ما ورد في أهداف مدارس أهل الحديث في جنوب الهند، مثل:

- ١- الكلية العربية لحماية الإسلام: فقد ورد في أهدافها: "تعليم الناس العقائد السلفية الخالصة من أدران الشرك والإلحاد" و " بذل الجهود للقضاء على البدع والشرك، وإماتة الضلالة والغواية وحياء تعليم الكتاب والسنة"^(٣).
- ٢- كلية فاطمة الزهراء الإسلامية: فقد ورد في أهدافها: " نشر العقائد الصافية، وقمع الشرك والبدع"^(٤).
- ٣- جامعة دار السنة: فقد ورد في أهدافها: "إعلاء كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ودعوة الناس إلى لزوم التوحيد والعمل بمقتضاه وترك كل ما ينافيه ويضاده عقيدة وعملاً"^(٥).

(١) متفق عليه. رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، برقم ٤٢٥. رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، برقم ٢٦٣.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، ص ٢٦-٢٧، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

(٣) نشرة تعريفية عن الكلية العربية لحماية الإسلام، بلهاري، كرناتكا، ص ١.

(٤) مجلة انوار فاطمة، ١٤٣٤هـ-١٤٣٥هـ الموافق ٢٠١٣م-٢٠١٤م، ص ١٣٧.

(٥) تعريف موجز عن الجمعية الخيرية الإسلامية، بمدينة شيروور، كرناتكا، الهند، ص ٢.

٤- وتدرس كتب العقيدة الصحيحة لأئمة أهل السنة والجماعة في جميع مدارس أهل الحديث في جنوب الهند^(١).

ومما سبق من بيان أهداف بعض المدارس يتضح جلياً أهمية هدف غرس العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين لدى مدارس أهل الحديث في جنوب الهند.

المطلب الثاني: إعطاء المسلمين التصور الصحيح لمفهوم العبادة وكيفية أدائها.

وهذا الهدف العظيم من أهداف مدارس أهل الحديث في جنوب الهند هو من مجالات الدعوة أيضاً وموضوعاتها، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾^(٤) وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٥)، وفي الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: ((إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله

(١) ينظر بيان ذلك بالتفصيل في الفصل الثاني، ضمن المناهج الدراسية لمدارس أهل الحديث في جنوب الهند، ص ١٦٠-٣٣٠.

(٢) سورة البينة: ٥.

(٣) سورة البقرة: ٢١.

(٤) سورة الأعراف: ٢٠٦.

(٥) سورة غافر: ٦٠.

قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب^(١).
والحديث دليل على أهمية تعليم الفرائض والواجبات الشرعية، من العبادات والأخلاق، بعد غرس الإيمان وتصحيحه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ففاتحة دعوة الرسل: الأمر بالعبادة..."^(٢).
وقال رحمه الله في موضع آخر: "فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه من حيث هو معبوده ومحبوه ومطلوبه وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة.
وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له فإنه لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله فهو

دائماً مفتقر إلى حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٣) " (٤).

ولقبول جميع العبادات يشترط شرطان:

الأول: أن يكون خالصاً لله تعالى لا يقصد به إلا وجهه.

الثاني: أن يكون العمل في ظاهره موافقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، برقم ١٤٩٦. ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم ٢٩.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٣/٢.

(٣) سورة الفاتحة: ٥.

(٤) العبودية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، المحقق: محمد زهير الشاويش، ص ٩٧، الطبعة السابعة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، المكتب الإسلامي - بيروت.

لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿١﴾ قال: أخلصه وأصوبه. وقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً. قال: والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة^(٢).
وقد دل على هذا قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٣) فلا بد أن يسلم العمل من الرياء المنافي للإخلاص، ومن البدعة المضادة للسنة.

ومدارس أهل الحديث في جنوب الهند تسعى لإعطاء التصور الصحيح لمفهوم العبادة وكيفية أدائها في نفوس الطلاب، ويتضح ذلك من خلال تدريس كتب العقيدة الصحيحة وكتب الحديث النبوي الشريف وكتب الفقه المقارن في جميع مدارس أهل الحديث في جنوب الهند^(٤)، كما يدرب الطلاب في بعض المدارس الإسلامية على أداء الصلاة تطبيقياً بإشراف المدرسين، كما يحث الطلاب على صيام التطوع، مثل: صيام عاشوراء، وصيام يوم عرفة، وصيام شعبان.

ومما سبق من بيان يتضح جلياً أن مدارس أهل الحديث في جنوب الهند تسعى لإعطاء التصور الصحيح لمفهوم العبادة وكيفية أدائها في نفوس الطلاب.

المطلب الثالث: نشر الأخلاق الفاضلة وغرسها في نفوس المسلمين.

وهذا الهدف الذي وضعته مدارس أهل الحديث في جنوب الهند كذلك من موضوعات الدعوة إلى الله ومجالاتها المهمة، ومن أهداف بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الملك: ٢.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ص ٣٣٤/١.

(٣) سورة الكهف: ١١٠.

(٤) ينظر بيان ذلك بالتفصيل في الفصل الثاني، ضمن المناهج الدراسية لمدارس أهل الحديث في جنوب الهند، ص ١٦٠-٣٣٠.

فقال: ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))^(١)، وقد وردت نصوص كثيرة تدعو إلى التخلق بمكارم الأخلاق، جعل أجر حسن الخلق ثقيلاً في الميزان، بل لا شيء أثقل منه، جاء في الحديث الشريف: ((ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق))^(٢)، بل جعله وسيلة من وسائل دخول الجنة؛ فقد سئل - صلى الله عليه وسلم - عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: ((تقوى الله وحسن الخلق))^(٣)، وفي حديث آخر ضمن لصاحب الخلق دخول الجنة، بل أعلى درجاتها، فقال: ((أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه))^(٤).

(١) رواه أحمد ٥١٣/١٤، برقم ٨٩٥٢. وينظر: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد - الرياض.

قال السخاوي رحمه الله: "رجاله رجال الصحيح" في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ص ١٨٠، برقم ٢٠٤، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الكتاب العربي - بيروت. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ١١٢/١، برقم ٤٥. وصحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، باب حسن الخلق، برقم ٢٧٣/٢٠٧، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار الصديق للنشر والتوزيع.

(٢) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، برقم ٢٠٠٣. وقال "هذا حديث غريب من هذا الوجه". وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير وزياداته، ٩٩٨/٢، برقم ٥٧٢٦.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، برقم ٢٠٠٤، وقال "هذا حديث صحيح غريب"، وقال الإمام الألباني رحمه الله "حسن الإسناد" في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٦٦٩/٢، برقم ٩٧٧.

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، برقم ٤٨٠٠. وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٥٥٢ / ١، برقم ٢٧٣.

أن الإسلام لم يعد الخلق سلوكاً مجرداً، بل عده عبادة يؤجر عليها الإنسان، ومجالاً للتنافس بين العباد؛ فقد جعله النبي - صلى الله عليه وسلم - أساس الخيرية والتفاضل يوم القيامة، فقال: ((إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون^(١) والمتشدقون^(٢) والمتفيهقون^(٣))).^(٤)

"وقد جاءت الشريعة الإسلامية تدعو إلى تركية النفوس وتطهيرها حتى تكون كريمة الأخلاق، نبيلة السجايا، فلم تدع خلقاً كريماً إلا رغبت فيه، ولا خلقاً ذمياً إلا حذرت منه، بل إن جميع الأحكام الشرعية تدور مع الأخلاق حيث دارت، فلا ترى حكماً شرعياً يعارض الأخلاق ويصادمها"^(٥).

-
- (١) الثرثار: هو الكثير الكلام. ينظر: معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، ١٠٨/٣، عام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة.
- (٢) المتشدد: هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم، مأخوذ من الفهق، وهو الامتلاء والاتساع. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الحزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناح، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، المكتبة العلمية - بيروت.
- (٣) المتفيهق: فيهِق علينا بما لا نريد: تبخر، تكبر. تفيهق في الكلام: توسع فيه وتنطع. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل، ١٧٤٨/٣، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عالم الكتب.
- (٤) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، برقم ٢٠١٨. وقال "وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه"، وصححه الإمام الألباني رحمه الله، في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٢/ ٤١٨، برقم ٧٩١.
- (٥) الأخلاق في الإسلام، لعبد اللطيف محمد العبد ص ١٢، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ، دار التراث، المدينة المنورة.

ونظراً لأهمية الأخلاق ومكانتها المرموقة في نشر الدعوة الإسلامية، فقد شمل تربية الطلاب على الأخلاق الحسنة من أهداف مدارس أهل الحديث في جنوب الهند، ومما جاء في هذا الصدد:

١- مدرسة حماية الإسلام: فقد ورد في أهدافها: " إعداد الطلاب وتربيتهم في جميع نواحي الحياة حتى يكونوا قدوة صالحة، ونموذجاً حياً لتعاليم الإسلام"^(١).

٢- جامعة دار السلام عمر آباد: فقد ورد في لائحة التأديبية لطلابها: ما يلي:
أ- " أن يكون مظهر الطالب حسب الشريعة الإسلامية.
ب- أن يتعامل الطلاب بينهم بالخلق الحسن، والمحبة والاحترام.
ت- يجب على الطلاب احترام أساتذتهم والتعامل معهم بأدب وخلق حسن." ^(٢).

٣- كلية بنات المسلمين: وجاء في ميثاقها: " التركيز على التربية الأخلاقية للطالبات". ^(٣).

ومما سبق من بيان أهداف بعض المدارس يتضح جلياً أهمية هدف التربية الأخلاقية في نشر الدعوة الإسلامية لدى مدارس أهل الحديث في جنوب الهند.

المطلب الرابع: دعوة المسلمين إلى الاعتصام بحبل الله وتحذيرهم من الاختلاف والتفرق والتحزب.

وأن هذا الهدف الذي وضعته مدارس أهل الحديث في جنوب الهند كذلك من مجالات وموضوعات الدعوة إلى الله، وقد أمر الله عز وجل الاعتصام بحبل الله، ونهى عن

(١) النشرة التعريفية للكلية العربية لحماية الإسلام، هاسبيت، كرناتكا، ص ١.

(٢) جهود جامعة دار السلام عمر آباد العلمية والفكرية والأدبية، محمد أسلم شاد، ديسمبر ١٩٩٩م، رسالة دكتوراه في اللغة الأردوية مقدمة في جامعة سري وينكتيشور، تربتي، الهند (غير مطبوعة). ص ٢٢٠.

(٣) النشرة التعريفية لكلية بنات المسلمين، ص ٤.

التفرق والتحزب، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١).

يقول الإمام الشوكاني رحمه الله في معرض تفسيره للآية الكريمة: "أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام أو بالقرآن، ونهاهم عن التفرق الناشئ عن الاختلاف في الدين، ثم أمرهم بأن يذكروا .نعمة الله عليهم، وبين لهم من هذه النعمة ما يناسب المقام، وهو أنهم كانوا أعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضا وينهب بعضهم بعضا، فأصبحوا بسبب هذه النعمة إخوانا، وكانوا على شفا حفرة من النار بما كانوا عليه من الكفر، فأنقذهم الله من هذه الحفرة بالإسلام"^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(٥).

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، ١/٤٢١، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٥.

(٤) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٥) سورة الشورى: ١٣.

يقول الإمام الطبري رحمه الله: "معلوم أن الذي أوصى به جميع هؤلاء الأنبياء وصية واحدة، وهي إقامة الدين الحق، ولا تتفرقوا فيه"^(١).

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله: "وصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم السلام بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف"^(٢).

ويقول الدكتور عبدالرحيم المغدوي حفظه الله: "وقد ذهب المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٣) أن المقصود بذلك: توحيد الله تعالى وعبادته والالتزام بشرعه وعدم الخلاف والتنازع في هذه الأصول، أما الفروع والمسائل القابلة للاجتهاد وإعمال النظر الدقيق فيها فذلك أمر متروك للعلماء الربانيين"^(٤).

ولا شك أن الفرقة في الدين من أعظم مصائب الأمة؛ وقد ذكر الله سبحانه تعالى عاقبة التنازع والتحزب فقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَوْا فَنَفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٥)، أي: تنحل عزائمكم، وتفرق قوتكم، ويرفع ما وعدتم به من النصر على طاعة الله ورسوله^(٦).

وقد اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى اجتماع كلمة المسلمين، وتحذيرهم عن التفرق والتحزب، فجاء عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: ((وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، ٥١٢/٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١٩٥/٧.

(٣) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د. عبدالرحيم بن محمد المغدوي، ص ٢٥٢، الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، دار الحضارة للنشر والتوزيع.

(٤) سورة الأنفال: ٤٦.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٣٢٢.

قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ^(١).

"وفي هذا الحديث أمر عند الافتراق والاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والسنة: هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديمًا لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله"^(٢).

وقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم دم المسلم لفارقة الجماعة المسلمة بالارتداد، أو الخروج عليها، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا يَأْخُذَ ثلاث: النفس بالنفس، والشيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة))^(٣)، أي

(١) رواه الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، برقم ٢٦٧٦. ورواه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم ٤٦٠٧. ورواه ابن ماجه، كتاب الإيمان وفصائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، برقم ٤٢. قال الإمام الترمذي رحمه الله "هذا حديث حسن صحيح". وصححه الإمام الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فوائدها، ٥٢٦/٦، برقم ٢٧٣٥.

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، ١٢٠/٢، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥)، برقم ٦٨٧٨. ورواه مسلم، كتاب القسامة والمحاربن والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم، برقم ١٦٧٦.

الذي ترك جماعة المسلمين، وخرج من جملتهم، وانفرد عن أمرهم بالردة، يقول الإمام النووي رحمه الله: "هو عام في كل مرتد عن الإسلام بأي ردة كانت فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام. قال العلماء: ويتناول أيضاً كل خارج عن الجماعة ببدعة، أو بغي، أو غيرهما، وكذا الخوارج، واعلم أن هذا عام يخص منه الصائل ونحوه فيباح قتله في الدفع، وقد يجاب عن هذا بأنه داخل في المفارق للجماعة، أو يكون المراد لا يحل تعمد قتله قصداً إلا في هؤلاء الثلاثة"^(١).

وقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ((كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك))^(٢).

قال ابن بطال رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: "فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين، وترك القيام على أئمة الجور، ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ١١/١٦٥، الطبعة الثانية: ١٣٩٢، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، برقم ٧٠٨٤. ورواه مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، برقم ١٨٤٧.

وصف أئمة زمان الشر فقال: ((دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها))، فوصفهم بالجور والباطل والخلاف لسنته؛ لأنهم لا يكونون دُعاةً على أبواب جهنم إلا وهم على ضلال، ولم يقل فيهم تعرف منهم وتنكر كما قال في الأولين، وأمر مع ذلك بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ولم يأمر بتفريق كلمتهم، وشق عصاهم^(١).

ولاشك أن الخلاف شر وفتنة، كما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ((**الخلاف شر**))^(٢)، وقد أتى الدين الإسلامي ليقضي على هذه الفتنة من خلال غرس أواصر المحبة والإخاء في أوساط المجتمع، وربطهم بخالقهم - جل وعلا - في جميع أمورهم وأحوالهم.

ونظراً لأهمية الاعتصام بالكتاب والسنة في نجاة العبد، فقد ورد في أهداف عدة مدارس أهل الحديث في جنوب الهند الإشارة على ذلك، ومن ذلك ما يلي:

١ - جامعة دار السنة: فقد جاء في أهدافها: "حث الناس على الاعتصام بالكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، وإنذارهم وابعادهم من التفرق والتحزب والتعصب، وذلك من خلال الدروس والمحاضرات وخطب الجمعة"^(٣).

٢ - كلية فاطمة الزهراء: فقد ورد في أهدافها: "الدعوة إلى التمسك بالقرآن و الحديث في جميع أمور الحياة"^(٤).

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطلال (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ٣٣/١٠، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض.

(٢) رواه أبو داود، كتاب المناسك، باب الصلاة بمنى، برقم ١٩٦٠. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٤٤٤/١، برقم ٢٢٤.

(٣) تعريف موجز عن الجمعية الخيرية الإسلامية، بمدينة شيور، كرناتك، الهند، ص ٢.

(٤) النشرة التعريفية لجامعة المفلاحات، حيدر آباد، ص ٢.

٣- جامعة المفلحات: فقد جاء في أهداف الجامعة: "محاولة القضاء على التنافر بين المسلمين واستئصال البدع والخرافات وجمع كلمة المسلمين على الكتاب والسنة"^(١).

ومما سبق من بيان أهداف بعض المدارس يتضح جلياً أهمية هدف الاعتصام بالكتاب والسنة والاجتناب عن التفرق والتحزب لدى مدارس أهل الحديث في جنوب الهند.

المطلب الخامس: الإعداد العلمي للناشئة بما يؤهلهم لحمل رسالة الدعوة إلى الله.
ولا شك أن هدف الإعداد العلمي للناشئة الذي رسمته مدارس أهل الحديث من الأهداف التي تبني شخصية الداعية العلمية، وقد مدح الله تبارك وتعالى أهل العلم وأثنى عليهم فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، ويقول جل وعلا: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٣)، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٤) ويقول عليه الصلاة والسلام: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))^(٥)، ويقول صلى الله عليه وسلم: ((ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله

(١) مجلة أنوار فاطمة، عام ١٤٣٤-١٤٣٥ هـ، الصادرة من كلية فاطمة الزهراء الإسلامية، هرين هلي،

كرناتكا، ص ١٣٧.

(٢) سورة الزمر: ٩.

(٣) سورة المجادلة ١١.

(٤) سورة فاطر: ٢٨.

(٥) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، برقم ٧١.

ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم ١٠٣٧.

له طريقاً إلى الجنة))^(١) وقال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(٢).

وهذا يدل على أهمية العلم للدعاة إلى الله تعالى، وأنه من أهم المهمات، وأعظم الواجبات، ليدعوا الناس على بصيرة.

ولا شك أن العلم والبصيرة من أعظم مقومات الداعية الناجح، وقد أمر الله سبحانه تعالى فقال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣).

قال ابن كثير رحمه الله: "... أن هذه سبيله، أي: سبيل رسول الله ﷺ وطريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي"^(٤).

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم ٢٦٩٩.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، برقم ٧٩. ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم، برقم ٢٢٨٢.

(٣) سورة يوسف: ١٠٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/٤٢٢.

وقال البغوي رحمه الله: "البصيرة: هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل" ^(١).

وقال القرطبي رحمه الله: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي: "على يقين وحق" ^(٢).

وقال البيضاوي رحمه الله: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ بيان وحجة واضحة غير عمياء ^(٣).

وقال السعدي رحمه الله: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية ^(٤).

والبصيرة من أعلى درجات العلم، كما أشار إلى ذلك ابن القيم رحمه الله بقوله: "أعلى درجات العلم: البصيرة؛ التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهذه هي الخَصِيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة، وهي أعلى درجات العلماء" ^(٥).

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠ هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، ٥١٨/٢، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ٢٧٤/٩، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، دار الكتب المصرية - القاهرة.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥ هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ١٧٨/٣، الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص ٤٠٦.

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ص ٤٥١/٢، الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، دار الكتاب العربي - بيروت.

ولقد سمى الله تعالى العلم بصيرة؛ لأنه يحصل به الصواب، ويتبين به الحق، وتقوم به الحجة، ويردع به الباطل، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في شرح حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقال: ((إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله...)) الحديث^(١)، "وفيه أن مخاطبة العالم ليست كمخاطبة الجاهل، والتنبية على أنه ينبغي للإنسان أن يكون على بصيرة في دينه، لئلا يتلى بمن يورد عليه شبهة من علماء المشركين، ففيه التنبية على الاحتراز من الشبه، والحرص على طلب العلم"^(٢).

وهذا يعني أنه لا بد من الإعداد العلمي للدعاة حتى يقوموا بإيصال الدعوة إلى غيرهم على الوجه الصحيح، وتؤدي ثمرتها وفائدتها المرجوة بإذن الله عز وجل.

ونظراً لما سبق بيانه من أهمية إعداد الدعاة في نشر الدعوة الإسلامية فقد اهتمت مدارس أهل الحديث في جنوب الهند بالإعداد العلمي للدعاة، وجعلها من صميم أهدافها، ويدل على ذلك السطور التالية:

١ - جامعة المفلاحات: فقد جاء في أهداف الجامعة: "إعداد الطالبات لنشر دعوة الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح"^(٣).

(١) متفق عليه، سبق تخريجه، ص ١١٦.

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، ص ٩٦، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق.

(٣) مجلة أنوار فاطمة، عام ١٤٣٤-١٤٣٥هـ، الصادرة من كلية فاطمة الزهراء الإسلامية، هرين هلي، كرناتكا، ص ١٣٧.

٢ - جامعة دار السنة: فقد ورد في أهدافها: "إعداد الدعاة والمعلمين الذين يقومون بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك على علم وبصيرة"^(١).

٣ - الجامعة السلفية: فقد جاء في أهدافها: إعداد الدعاة وتخرج العلماء والفقهاء القادرين على توجيه المجتمع حول المسائل الدينية والحياتية المستحدثة في ضوء الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح"^(٢).

ومما سبق من بيان أهداف بعض المدارس يتضح جلياً أهمية هدف الإعداد العلمي للدعاة في نشر الدعوة الإسلامية لدى مدارس أهل الحديث في جنوب الهند.

المطلب السادس: نشر اللغة العربية

من أهم أهداف مدارس أهل الحديث في جنوب الهند نشر وتعليم اللغة العربية والاهتمام بها حيث "تعد اللغة وسيلة التفاهم والتخاطب والتعبير عن ما تكنه النفس البشرية، وما يحمله الإنسان من عواطف ومشاعر تجاه الأشياء، فهي رأس مطالع العلوم، فقد قيل: مطالع العلوم ثلاثة: قلب مفكر، ولسان معبر، وبيان مصور"^(٣).

ومن خلال اللغة يسطر ويدون بها ما يراد، ويكتب بحروفها الآثار والمحاسن، وتسجل بها العلوم والتاريخ، وتنقل بها المعارف والفضائل، وبها تتغذى القلوب والأبصار، بما تحمله من معاني وأفكار وأفهام"^(٤).

(١) تعريف موجز عن الجمعية الخيرية الإسلامية، بمدينة شيروور، كرناتك، الهند، ص ٢.

(٢) النشرة التعريفية لجامعة السلفية بكيرالا، ص ٦.

(٣) عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل، ص ٤٨، دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية أ. د. خالد بن حامد الحازمي، ص ١٥، الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، مكتبة دار الزمان.

وقد قيل في اللغة: عنان كل صياغة وزمام كل عبارة وقسطاس يعرف به الفضل والرجحان، وميزان تعرف به الزيادة والنقصان، و به يعرف ربوبية الرب وحجة الرسل^(١).

واللغة العربية لها قيمتها وأهميتها التي انبثقت من مكانتها العظيمة التي اختصت وتميزت بها عن باقي لغات العالم؛ ذلك أنها لغة القرآن الكريم فهي لذلك لغة الإسلام، كما أنها لغة سيد الخلق عليه الصلاة والسلام.

ولقد تضافرت الآيات القرآنية دالة على أن العربية لغة القرآن الكريم فمن ذلك قوله تعالى ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۝١١٣﴾ وقوله: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١٤﴾ وقوله: ﴿وَلَنُفِخُ فِي النُّفُوسِ نَارًا لَنُبَيِّنَ لَكَ آيَاتِنَا وَلَعَلَّكَ لَمَّا تَذَكَّرُ ۝١١٥﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٧﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٨﴾^(٥).

وكل هذه الآيات البينات دلائل واضحة على جعل الله العربية لغة القرآن، ومن ثم لغة الإسلام؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، فهي إذا مهمة وضرورية لأنها أداة ربط الصلة بالله تعالى من خلال التعبد بتلاوة القرآن الكريم والصلاة، ولأنها أيضا مفتاح الذي يمكن للمسلم فتح خزائن المعرفة الإسلامية ليطلع على كنوزها الثقافية، فيأخذ منها ما يعمق وعيه الثقافي والديني.

(١) نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء الملك الأفضل عباس بن عباس تحقيق: نبيلة عبد المنعم ، ص ٥٤ ، مكتبة الثقافة.

(٢) سورة يوسف الآية: ١-٢.

(٣) سورة طه الآية: ١١٣.

(٤) سورة فصلت الآية: ٣.

(٥) سورة الشعراء آية: ١٩٢-١٩٥.

وتزداد أهمية اللغة العربية وتعلمها في كون الإنسان لا يمكن له الوصول إلى معرفة حقائق أحكام القرآن وفهم دقائق معانيه وضبط قواعده إلا باللغة العربية، بل إن كثيرا من القضايا متوقفة على فهم النصوص فهما صحيحا.

يقول محمد المبارك: "إن كثيرا من قضايا الحياة تتوقف على فهم النصوص الشرعية فهما صحيحا دقيقا، ولا يتحقق ذلك إلا بفهم اللغة العربية، ولذلك عني علماء الشريعة بكثير من مسائل الألفاظ ودلالاتها، وبحثوا في العام والخاص، والحقيقة والمجاز، والمشارك والمترادف، مع أنها من مسائل علم اللغة، لأن استنباط الأحكام من النصوص منوط في كثير من الأحيان بتحديد فهم المسائل اللغوية وتمحيصها وتحليلها"^(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"^(٢).

وقال أيضا: "إن الله تعالى لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله ﷺ مبلغا عنه للكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابھتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، في جميع أمورهم"^(٣).

(١) فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في

التجديد والتوليد، محمد المبارك ص ١٥٨-١٥٩، الطبعة الثالثة ١٩٦٨م، دار الفكر بيروت.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم . لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق: د. ناصر

عبد الكريم العقل، ١/٥٢٧، مكتبة الرشد، الرياض.

(٣) المرجع السابق، ١/٤٤٩-٤٥٠.

اللغة العربية ليست مجرد أداة تعليمية يراد تعلمها، بل هي فريضة دينية، تأثم الأمة إن فرطت فيها، وإن أي تهاون فيها وحط من قيمتها وإهمالها يؤدي إلى الضعف في فهم الدين، ومن ثم الوقوع في أنواع من البدع والضلالات، ولهذا قال اللغوي ابن جني في الخصائص: "إن أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها وحاد عن الطريقة المثلى إليها إنما استهواه واستخفّ حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطب الكافة بها"^(١).

إن معرفة حقيقة هذا الدين والإمام بأصوله وفروعه والوقوف على أحكامه لا تكون دقيقة وصائبة إلا بالوقوف على أصول هذا الدين في لغتها الأصلية، والتي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام، فكما هو معلوم لأهل اللغة أن أي ترجمة لأي عمل إبداعي وحتى غير إبداعي تنقص وتعجز كثيرا عن الوفاء الكامل بما تحمله الأصل في أفكاره وأساليبه وإيماءاته، فكذا الحال هنا.^(٢)

ولهذا دأب العلماء منذ القديم على أن يصلوا بين علوم العربية والدين الإسلامي بأوثق الصلات، حتى إن بعضهم يقدمها في التعليم على جميع العلوم؛ من أجل فهم الأحكام وأخذها من الأصول متوقف على التفقه في فنون الإعراب^(٣).

ونظراً لأهمية اللغة العربية في فهم الدين الإسلامي ودقائقه ومعانيه اهتمت مدارس أهل الحديث في جنوب الهند على تعليم اللغة العربية لمنسوبيها، وجعلها من صميم أهدافها: ويبين ذلك من خلال السطور التالية:

(١) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق: محمد علي النجار، ٢٤٥/٣، عالم الكتب - بيروت.

(٢) أهمية اللغة العربية لدارس الكتاب والسنة، محمد بن عبد الله الحثران، ص ٦٦، مجلة البيان العدد (١٨٢) شوال ١٤٢٣هـ، ديسمبر ٢٠٠٢م.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٦.

- ١ - كلية مدينة العلوم العربية ومركز البحوث: فقد ورد في أهداف هذه الكلية: "تعليم الشباب اللغة العربية والإنجليزية والأردية، وتمرنهم على الإلقاء والتحرير"^(١).
- ٢ - تدريس مادة مستقلة لتعليم اللغة العربية وآدابها في جميع مدارس أهل الحديث في جنوب الهند، مثل: مادة (النحو والصرف) و (البلاغة والأدب)^(٢).
- ٣ - تدريب الطلاب والطالبات على الأساليب البيانية والكتابية باللغة العربية في جميع مدارس أهل الحديث في جنوب الهند^(٣).



(١) النشرة التعريفية لكلية مدينة العلوم العربية ومركز البحوث، ص ٣.

(٢) ينظر بيان ذلك بالتفصيل في الفصل الثاني، ضمن المناهج الدراسية لمدارس أهل الحديث في جنوب الهند، ص ١٦٠-٣٣٠.

(٣) ينظر بيان ذلك بالتفصيل في الفصل الثاني، ضمن الأنشطة مدارس أهل الحديث في جنوب الهند، ص ١٦٠-٣٣٠.